صوفيات (١)[١][٢]

خطاب مفتوح نرفعه بكل توقير وكل... إلىٰ السيد السند حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية.

شكوتنا إلىٰ النيابة، ولك العذر في أن فعلت ذلك، فاتهام الصوفية بأنها دسيسة يهودية قضاء عاصف مدمر عليها، وعلىٰ ما تغله صناديق الأضرحة من مال وفير وغلات تأتيكم رغدًا من كل مكان.

لسنا نعيبك يا صاحب السماحة في شكاتك ولا في ثورتك؛ إذ قضىٰ الله أن تتولىٰ زعامة هذه الجماعة التي قال لها رب العالمين: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] وكنا يا سيدي ننتظر ونترقب - وأنت من كبار شيوخ الأزهر - أن تقود هذه الجماعة الشاردة إلىٰ ما يطلب الدين من هدىٰ، وإلىٰ السبيل السوي من رشد الإسلام وبصيرته المشرقة، نعم كنا

---

(١) الهدي النبوي: علىٰ أثر التحقيق الذي قامت به النيابة مع جماعة أنصار السنة بالجيزة؛ لوصفهم الصوفية بأنها دسيسة يهودية في إمساكية رمضان الماضي، بناءً علىٰ بلاغ شيخ مشايخ الطرق الصوفية، وحفظ النيابة لهذا البلاغ بعد أن حضر الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل أمامها مدافعًا في هذه القضية، وأخذ النيابة بوجهة نظره - كما أشرنا إلىٰ ذلك في عدد الهدي السابق - كتب خطابًا مفتوحًا إلىٰ هذا الشيخ، واختار له عنوان (صوفيات) نجتزئ منه بهذا المقدار ننشره في هذا العدد، وسنوالي نشره في الأعداد التالية إن شاء الله.

(٢) (١ / ١٣٦٨هـ).

- وما زلنا - نأمل أن تفعل ذلك، وأوقن أنك لو فعلته لكنت البطل الديني الأول الذي تهتف باسمه الأحقاب، وترتل الثناء عليه مزامير القرون...

هذا يا صاحب السماحة رجاء شاب كان صوفيًّا شرب زعافها شهدًا، وذاق مرها رحيقًا، ثم تهللت في روحه المظلم إشراقات الهداية القرآنية، فإذا هو يكاد يقضي عجبًا منه العجب، أي: الماضي الذي كان فيه، ماضي الكفر يغتال مهجة إيمانه، والشرك يعصف بالحشاشة الولهىٰ من توحيده، فيا حر قلباه!!

كان الشاب اليتيم الروح ينتظر أن يمشي علىٰ الماء، ويطير في الهواء، ويمتزج بروحيته بالروح الإلهي الأعظم، ويمرق كالشهاب من بين الحجب ليرىٰ حقيقة الوحدة الكبرىٰ كما وعدته الصوفية... فعلام مشيت؟

علىٰ الجمر المدمدم من سقر. وفي أي الأجواء طرت؟

أتذكر يا سيدي قصة المشرك قصها الله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] كنت أنا يا شيخ الصوفية الأكبر أحد أبطال هذه القصة الدامية؛ وبم امتزجت أنا يا سيدي؟

بالشيطان ينفث في دمي إثمه، ويطل من عيني لهبًا يحرق معاني القداسة، ويهفو بنفسي إلىٰ كل حمأة دنسة لا غاية لها إلا التلهب والتحرق في جحيم الغواية، وهل رأيت أنا حقيقة الوحدة الكبرىٰ؟ آه من هذه الأسطورة الساجية الفتون المكحولة الآثام!! الوحدة!!؟ ما هي؟

وعدتني الصوفية أني سأصير بها إلهًا فأحقق ما قال الشاعر:

آه يـــا يـــوم التلاقـــي ليتنـــي كنـــتلا إلهـــا

لأبحـــث النـــاس للنـــاس خـــــدودًا وشـــــفاها

وأصبح وأمسي وأنا الإنسان الإلهي، أو الإله الإنساني الذي يصرف الوجود بأقداره ومشيئته، ويدين الكون لنزغاته ونزواته، ويسخر الجن والريح والعواصف في سبيل شهواته، ولم لا؟

بل إن الصوفية علىٰ يد عفيف التلمساني[1] أباحت الأم والأخت، بل إن ابن عربي في كتابه الفصوص، بل علىٰ وجه الدقة في النص المحمدي يقول يا سيدي - وإني والله لشديد الحياء والخجل -: إن الله يتجلىٰ أعظم ما يتجلىٰ في صورة المرأة.

ويقول: إن الله يكون وقت اتصال الزوجين في مظاهر ثلاثة: فاعل ومنفعل ومفعول، ولو تأمل الزوج وقت تلك اللحظة العاصفة لعلم أنه الله وأنه مع الله...

لقد أخرجني قول الحق عن طوري، فذكرت ما يكون فيه الخدش لحياء حتىٰ غير العذراء، ولكن ليعذرني القراء، فإن شيخ الصوفية يشكونا إلىٰ النيابة؛ لأننا

---

(١) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، مشهور بعفيف الدين، صوفي شاعر، ولد سنة (٦١٠هـ) تنقل في بلاد الروم، توفي بدمشق سنة (٦٩٠هـ) وله ثمانون سنة.

له مصنفات منها: «شرح الفصوص»، و«شرح منازل السائرين»، وغيرها.

[انظر: الأعلام (٣/ ١٣٠)، معجم المؤلفين (٤/ ٢٧٠)].

قال عنه شيخ الإسلام: «وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر، [الفتاوىٰ (٢/ ٤٧١)]

وقال الإمام الذهبي: «أحد زنادقة الصوفية» [العبر (٣/ ٣٧٣)]، وقال الإمام ابن كثير: «نسب إلىٰ هذا الرجل عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض».

[البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٦)]. (ض).

نبصرهم بما دسه اليهود والمجوس عليهم فحسبوه إيمانًا عذريًّا قدسي المشاعر؛ وكان ينبغي له أن يقص لأتباعه تلك الوثنيات التي سجلها الصوفية في كتبهم ويقرأ معها كتاب الله، فإن رضي أتباعه بما في كتب ساداتهم وتركوا القرآن وراءهم ظهريًّا، كان حقًّا علىٰ الشيخ أن يخلف مكانه لاجئًا إلىٰ ربه وهداية ربه.

وإني لأحسن الظن بالشيخ فأقول: لعله لم يتل كتب أولئك القوم الذي تربع هو علىٰ كرسيهم، فأردت هنا أن أضع للشيخ صورًا خاطفة مما رسمه زعماء الصوفية عن الله وعن رسول الله وعن أولياء الله، مطالبًا الشيخ - هدانا الله وإياه - أن يصرح لنا بما يراه، فإن أنكر علىٰ القائلين بهذه الآراء زندقاتهم كنا أول من نهلل له ونهتف باسمه الكريم، وإن سكت عن ذلك أو لم ينكر عليهم، فسنظل يا سيدي نضرب بمعول الحق بناء الطاغوت وهيكل الصنم؛ حتىٰ يخر علىٰ سدنته وعباده، ولن يخيفنا في سبيل الله تهديد ولا وعيد ولا إزباد ولا إرعاد...

دمرينا يا عواصف الشر الباغية، والهبي أيتها الأحقاد العاتية، فإنا حسبنا من الله رحمته السامية.

الإله عند الصوفية:

أدعوك يا صاحب السماحة إلىٰ قراءة فصوص الحكم لابن عربي، وإلىٰ قراءة الإنسان الكامل للجيلي، وإلىٰ قراءة عنقاء مغرب لابن عربي، وإلىٰ ديوان ابن الفارض وشرحه، وإلىٰ كتاب الطبقات للشعراني، وإلىٰ كتاب الإبريز للدباغ[1]،

---

(١) هو عبد العزيز بن مسعود الدباغ، متصوف من الأشراف الحسينيين، ولد بفاس سنة (١٠٩٥هـ)، وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغات في الثناء عليه، ونقل الخوارق =

بل حتىٰ إلىٰ مجموع الأوراد الذي يتعبد به الصوفية في عصرك، ولم أدعوك إلىٰ هذا؟ إنكم يا صاحب السماحة تسمون ابن عربي: «الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر»، وتسمون الجيلي: «المحقق الكامل»، وتسمون ابن الفارض: «سلطان العاشقين»، وتسمون الشعراني: «الهيكل الصمداني والقطب الرباني».

فأنا أدعوك إلىٰ تلاوة كتب يقدسها الصوفية ويجلون - ولا أقول يعبدون حتىٰ لا أثير غضبك - أربابها، فإن كان ما فيها هو دين الصوفية فلتقرأ معها سورة واحدة من القرآن، وقارن بين ما تلوت من صوفية.

وبين ما وعيت من الهداية القرآنية وسيروعك، بل ربما استفز لعنتك ونقمتك أن تجد الصوفية في هذه الكتب يفهمون في الله فهمًا خيرًا منه فهم النصارىٰ والمجوس في ربهم.

وإني لعلىٰ استعداد كبير لملاقاة سماحتكم ومناقشتكم في هذا، فاختر يا سماحة الشيخ أي مكان شئت حتىٰ ولو قبة البدوي.

❁ ❁ ❁

= عنه. توفي بفاس سنة (١١٣٢هـ). [انظر: «الأعلام» (٤/ ٢٨)].

وأما كتابه: الإبريز فهو لتلميذه أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي، وقد جمع فيه كلام شيخه عبد العزيز الدباغ. [انظر: الأعلام (١/ ٢٠١)]. (ض):